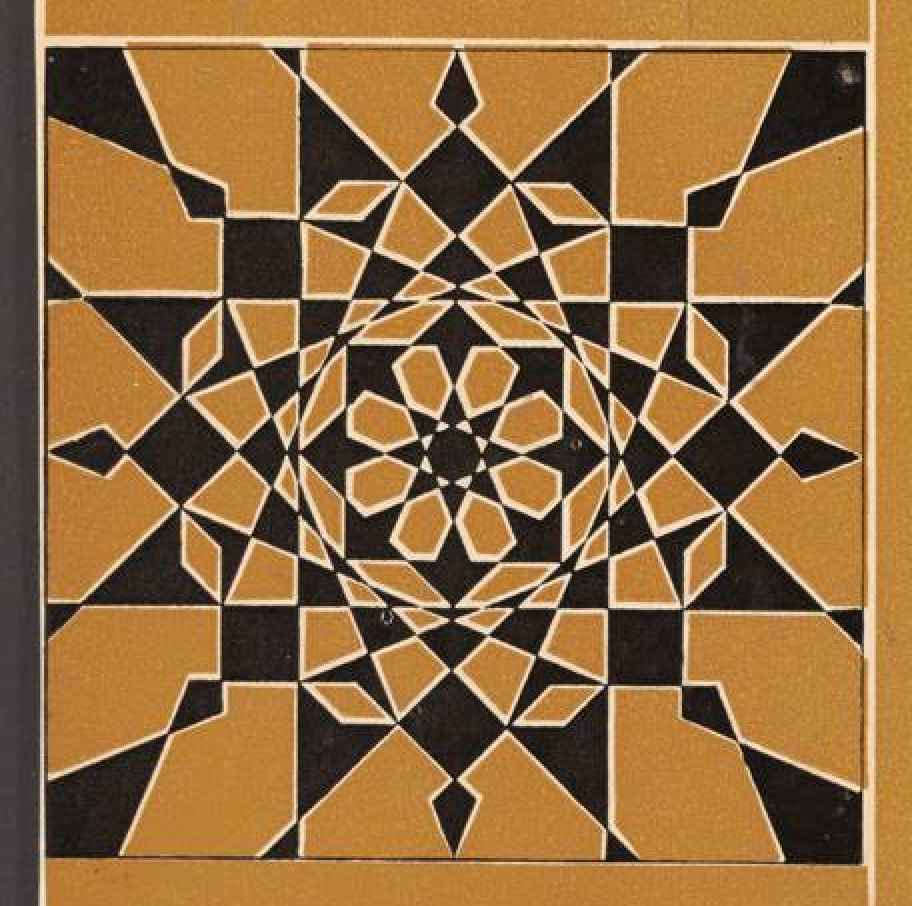
المجتمع الشامي

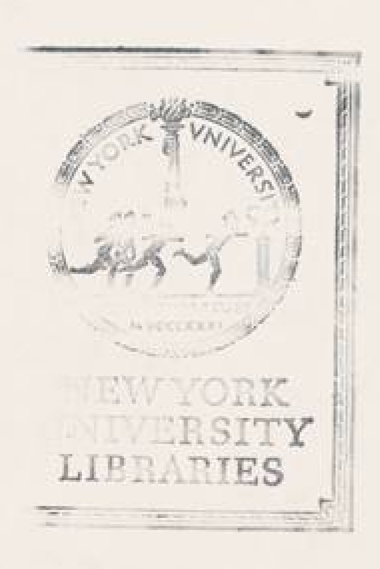
سلسلة الثقافة الشعبية ٧



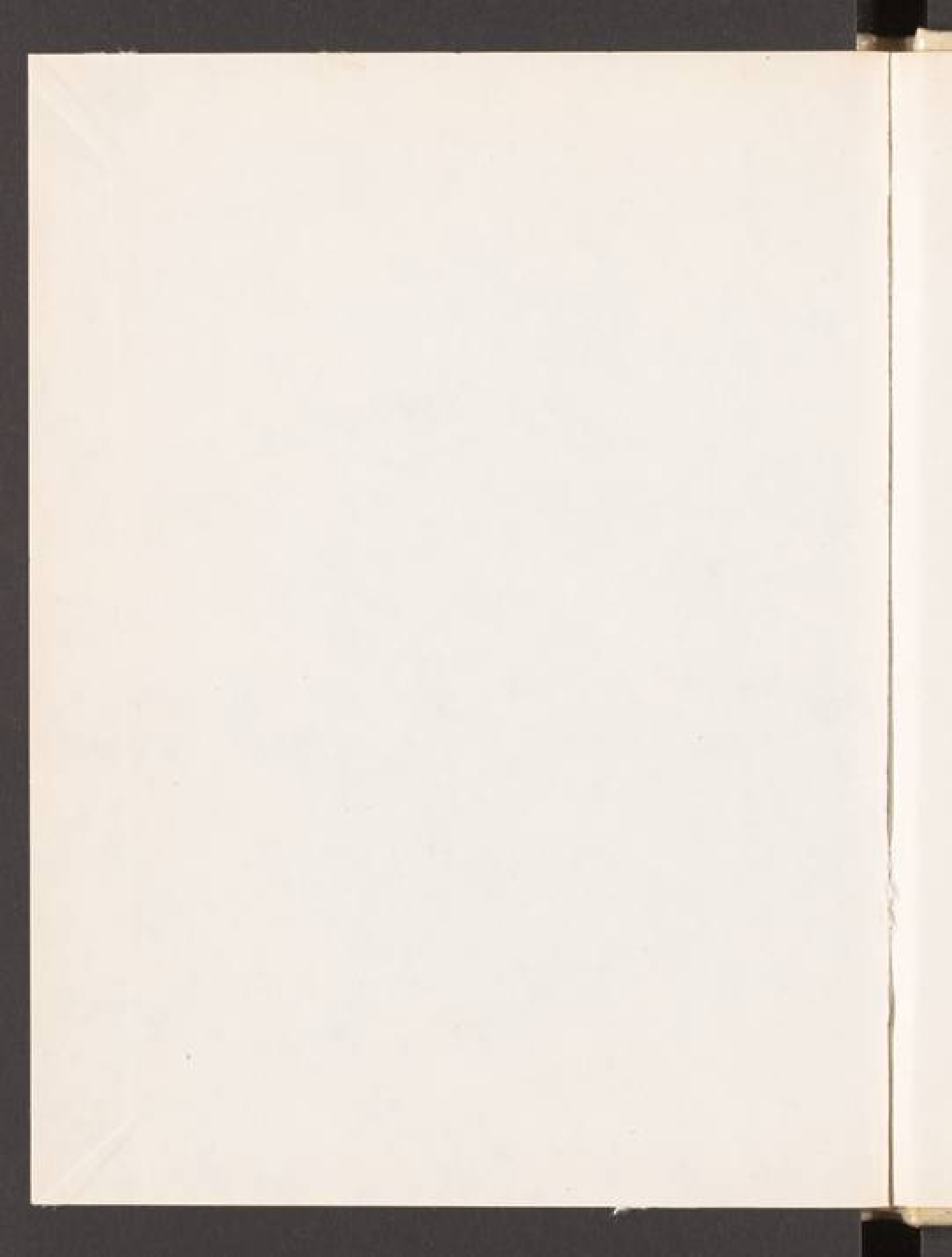
بقلم

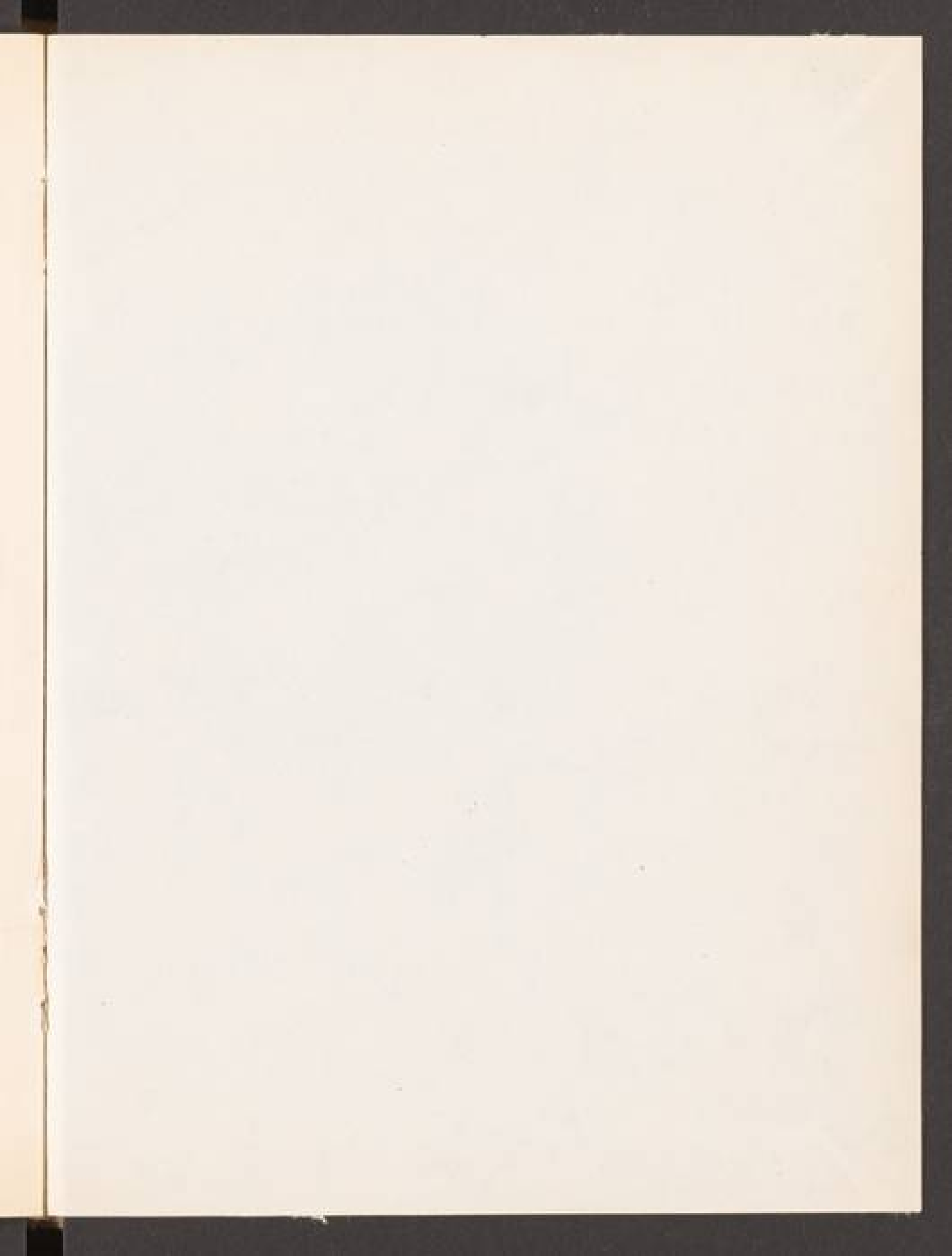
فؤاد العادل

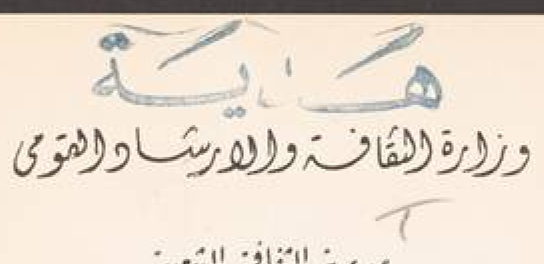

BOBST LIBRARY
3 1142 02824 6695


NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES









وزارة الثقافة والارشاد القومي

مديرية الثقافة الشعبية

المجتمع الشامي

بقلم

فؤاد العادل

سلسلة الثقافة الشعبية ٧

الباب الأول

توطئة :

١ - موقع بلاد الشام وتمثلها للحضارات :

ما من بلد في عالمنا هذا ، قديمه وحديثه ، اتيح له أن يعاصر طفولة الانسانية ويشهد ولادة التاريخ كما اتيح لديار الشام التي كان لموقعها الطبيعي أكبر الأثر في جعلها قبلة الانظار ومحجة الفاتحين ، فهي الحلقة الذهبية التي تقرع بها باب الشرق كله فيتفتح لك رحيباً فسيحاً يفيض بالخصب والنماء ويندى بالبركة والعطاء . فكم من قوافل وجحافل قطعتها ضاربة بين شمال العالم وجنوبه ، متنقلة بين بره المعروف وبحره المألوف ، فلا غرو اذا خطت على اديم

هذه البلاد سير الفتح الأولى ، آشوريها وكلدانيها وفينيقيها وارتسمت في تربتها حضارات العالم الكبرى ، اليونانية والرومانية والفارسية .

ولكن الله لم يقيض لحضارة من الحضارات المعروفة ان تستقر في تربة الشام وتمتزج بتاريخها كما امتزجت الحضارة العربية التي ثبت أركانها الفتح الاسلامي نهائياً في هذه الديار وامتاز تاريخ الفتح العربي الطويل فيها باستقرار الأوضاع واستمرار الصفات الأصيلة للحياة البشرية ، فتأتى بذلك للحضارة العربية في الشام ان تلائم تربة صالحة تتبلور فيها وتتفتح وتستقر .

والحضارة العربية التي تعتبر « تركيبية » قد اخذت بمقادير من العناصر الآرامية والفارسية واليونانية التي انتقلت اليها بنتيجة حركة الترجمة والنقل وهي مدينة في الدرجة الأولى للغتها العربية التي تعتبر أنقى اللغات السامية ، اذ فيها يصل منطق هذه اللغات الى ذروته . قال «ماسينيون»: (ان اللغات السامية ، وخاصة العربية منها ، هي الأداة التي لا أداة سواها للكشف عن الوحدانية ، اذ لا ءمت في الفكر العربي تلك البساطة التوحيدية والنزعة الشمولية). وقد أثرت الطبيعة الشامية الى حد بعيد في هذه النزعة ، قال « شارل فوكو » : (في هذا الهدوء العميق ، من هذه الليلة السحرية بلغت

مستقري الاول ، في بادية الشام ، ان المرء ليهيم في عزلة ليلية كهذه، لماذا يعتقد العرب بليلة سرية هي ليلة القدر ، تنزل فيها الملائكة الى الارض وتصبح مياه البحار عذبة ويسبح بحمد الخالق كل ما في الطبيعة من مخلوقات غير حية) .

٢ – أثر الثقافة الشامية في الشعر والعقلية العربية :

ان اللغة العربية كما هي لغـــة توحيد وقرآن فهي لغة شعر ووجدان ، فقد تأتى لها حين خرجت من بداوة الحجاز الى طراوة الشام ان تصطبغ بلون جديد من التفكير وأن ترفد بطرائق مبتكرة من فنون التعبير اجتمعت فيما سمي « بالطريقة الشامية في الشعر » فلئن كان الشعر صورة صادقة للمجتمع تجلو لنـــا احاسيسه العميقة وعاداته العريقة وتكشف عن اصالة تفكيره بطرائق تعبيره ، كما تعرض علينا مجموعة من القيم السائدة فيه المحببة اليه ، فان نظرة واحدة الى الشعر الشامي الخالد الذي حمل لواءه افذاذ الاعلام كأبي تمّام والبحتري والمتنبي والمعري ، ترينا الى أي مدى قد طبع اللغة العربية بطابعه ورفد العقلية العربية بروحه وحسه فكان شعراً عفيفاً رصيناً فيه ماء ورواء والوان واضواء هي بعض انعكاسات طبيعة الشاميين التي خصها الله بالسحر والفتنة والايحاء ، كما ان فيه حسن تخير واصالة ذوق موسيقي

يتناغم فيه الاسلوب الرشيق الرقيق مع الفكر المرهف العميق ولا غرو ان قيل في البحتري « انه اراد ان يشعر فغنى » .

والشعر الشامي هو فوق كل شيء شعر عربي اصيل تجافى عن العجمة وتحلل من البداوة وابتعد عن التعقيد وآمن بالعروبة الخالصة التي لاتشوبها شعوبية ذميمة ، وهو يمثل الخلق الشامي في جديته ورصانته وميله الى الحكمة الناضجة والمثل الشرود والحب الفروسي العنيف . واخيرا فانه ينم عن القلق والتحدي الملازمين للعقلية الشامية وللفكر الشامي .

ولئن كان عصرنا هذا قد آمن في علم الحياة والسلالات البشرية بتحكم الارث في الافراد فعلم الاجتماع مؤمن بالاتصال السببي بين ماضي الامم الغابر وحاضرها المعاصر وفي هذا يقول (نولدكه) : « لو نزعنا جلود الاسبان البيضاء لألفينا تحتها جلودا عربية سمراء » يدلنا هذا على ان الحوادث الاجتماعية تنتظم في تيارات عميقة تتسرب عبر التاريخ في ضمير الامم وتتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل ، وهذا لايصدق في مجتمع بقدر مايصدق في المجتمع الشامي المحلي .

الباب الثاني
المجتمع الشامي المحلي

١ – المجتمع الدمشقي المحلي كنموذج للمجتمع الشامي:

لا بد للباحث الاجتماعي ، ان هو أراد تطبيق مبادىء العلوم الوضعية على علم الاجتماع ان يقتصر في معرفة طوابع المجتمع المحلي في بلد ما على الاخذ بمبدأ النماذج او (العينات) فيختار من هذا المجتمع نموذجا تتوفر فيه الى حد بعيد الخصائص العامة والصفات المميزة لموضوعه العام ويخضعه للبحث والتحليل والاستقراء . وقد اخترت كنموذج للمجتمع الشامي او السوري المجتمع الدمشقي الذي تلخصت فيه على مر الزمن اهم المميزات وادق الصفات وابرز الخصائص المتوفرة في المجتمع السوري الشامي .

٢ ــ طوابع المجتمع الدمشقي المحلي :

مرت سورية عامة ودمشق خاصة بادوار واستحالات وتقلبت عليها عهود وحكومات بعد ايام عزها الخوالي ونهضتها الانسانية الغابرة فذاقت لونين من الاستعمار العثماني والفرنسي ، حاولا عبثا خنق الروح العربية فيها وقطع صلتها بماضيها المجيد وتقاليدها العريقة ، رغم انهما سخرا لذلك اسلحة الاستعمار الوبيلة من جهل وفقر واهمال واذلال ، وتفرقة عنصرية وفتن مذهبية ودسائس سياسية الا ان كل ذلك لم يقو على خنق عروبة دمشق ولا على تحقيق تنكرها لماضيها وقطع صلتها بتاريخها ، الا ان ذلك الصراع السياسي العنيف خلف في المجتمع الدمشقي بعضا من العقد النفسية وبقايا من الرسوبات الاجتماعية .

١ ــ عاداته واعياده ، تقاليده واخلاقه :

قال القزويني : « وأهل دمشق احسن الناس خلقا وخلقا وزيا واميلهم الى اللهو واللعب واشدهم محافظة على عاداتهم واخلاقهم ولهم غرام خاص بالفاظ التشريف والتفخيم » ! وهذا القول يصدق الى حد بعيد في المجتمع الدمشقي الذي اشتهر اهله برقة الحاشية ولطف المعشر وحسن الهندام على كثرة مافيه من اختلاف الازياء وتنوع

اللباس . وقد كانوا ينعتون كل وافد على دمشق اذا اكتسب من رقة اهلها ودماثتهم ولطف معشرهم بانه « تدمشق » .

وللدمشقيين ولع خاص بعاداتهم واعيادهم وحفلاتهم وتقاليدهم، الدينية منها والمدنية وهم يتمسكون بها ويحرصون كل الحرص على مراسمها وتقاليدها ، ومن اعيادهم الدينية عيد الفطر والنحر وعودة الحجاج والختان والموالد وحفلات التكايا (المولوية) والزوايا، واحياء ليالي رمضان وليالي القدر ونصف شعبان . ولهم في مناسبات زواجهم طقوس وتقاليد في كل مرحلة من مراحلها تراهم متمسكين بها حريصين عليها منذ اقدم العصور و كذلك قل في مناسبات الوفاة، قال ابن جبير بصدد مآتم اهل دمشق وجنائزهم في الدولة الصلاحية: « ونقباء الجنائز يرفعون اصواتهم بالنداء لكل واصل للعزاء من محتشمي البلدة واعيانها ، ويحلونهم بخططهم الهائلة التي قد وضعوها لكل واحد منهم بالاضافة الى الدين ، فتسمع ماشئت من صدر الدين اوشمسه او بدره او نجمه وتتبعها في الفقهاء بما شئت ايضا من سيد العلماء وجمال الائمة وحجة الاسلام وفخر الشريعة » . ومرد ذلك ـ على ماأرى ـ الى اثر العهود الغابرة والتركية والالقاب الشاهانية فيهم !

ومن اخلاق اهل الشام الشرف والوفاء والكرم والحمية ،

ولا تزال هذه الصفات ماثلة في المجتمع الدمشقي على كثرة ماعتوره من تبديل وتعديل . وتتجلى هذه الصفات بصورة واضحة في الطبقات الوسطى والشعبية من المجتمع ، والدمشقيون هم الى ذلك ودودون محبون للغريب ، اليفون ساعون في صلة الرحم .

وهم على العموم محبون للطبيعة تراهم لا ينفصلون عنها، يقضون اوقات استجمامهم وايام عطلهم بين احضانها في لهو وطرب ورياضة وسمر .

٢ – مؤسسات استعمال اوقات الفراغ :

وتتلخص مؤسسات اوقات الفراغ عند الدمشقيين في سهرات دورية ينظمونها كل مساء في دورهم يسمرون فيها ويطربون ويتلون نهج البردة والسيرة الحلبية وقصص الملوك والعظماء والفرسان والحكماء .

وقد درج بعضهم منذ القدم حتى الان على عادة الاختلاف الى المقاهي يلعبون فيها النرد ويدخنون النارجيلة ويشربون الشاي والقهوة ثم يتجمعون حول (الحكواتي) او القصاص الشعبي الذي يجلس في صدر المقهى على دكة عالية ويقرأ بصوته الجهوري قصص الفروسية والبطولة كقصة عنترة وابي زيد والزير سالم وهي قصص

تتجاوب مع مافي صدور ابناء الشعب من حب للشجاعة وميل الى الكرم واعجاب بالوفاء والمروءة وحفظ الذمام يضاف الى ذلك مؤسسة خيال الظل او (القره كوز) التي كان لها كبير اثر في اوائل القرن الماضي في توجيه الشعب وتهذيب اخلاقه وقد كان استاذ هذا الفن المشهور بدمشق (علي بن حبيب) الذي كان موسيقيا بارعا وناقدا شعبيا يصور في كلامه العادات السيئة المتفشية في عصره وينتقد ظلم الحكام كما يستشهد بشعر حماسي وجداني من اشعار عنترة وصفي الدين الحلّي وابي العتاهية وغيرهم . وقد تأثر هذان اللونان من المتع الاجتماعية بظهور السينما وانتشارها الى حد بعيد . يضاف الى ذلك الحمام الذي كان يعتبر مؤسسة من مؤسسات الاستجمام الشعبي يجتمع فيه سكان الحي واصحاب الحرفة فيستحمون ويغتسلون ويتسامرون ويتفكهون . وقد اشتهرت دمشق منذ القدم حتى الان بحماماتها التي خف الاقبال عليها بشيوع الحمامات الخاصة في الدور . وقد كانت الاسرة تمثل خلية اجتماعية هـــامة اذ أن عادة الاسرة الارومة « Famille - Souche » كانت ومازالت حتى اليوم شائعة في اكثر البيوتات الدمشقية ، اذ أن الاجداد والآباء والاحفاد كانوا يعيشون في البيت الواحد وقد اخذت هـذه العادة الآن بالزوال بعــد تغير طراز البناء وغلبة حب التفرد والاستقلال في نفوس الجيل الجديد .

٣ ـ محاسنه وهناته :

وقد علقت في المجتمع الشامي من آثار عهود الاستعمار والانتداب السوداء عادات ذميمة منها عادة حب التجاوز على القوانين والتحاسد والفردية المفرطة . يقول العلامة المرحوم محمد كرد علي في « خطط الشام » (اكثر ما تعاب به هذه الامة عصيانها على الانظمة والشرائع لا تطبق منها الا ما لا يمس بمصالحها الخاصة فاذا كان في بعضها ما يخالف الشهوات والاغراض خرجت عليها وحاربتها، والشاميون اذا اجتمعوا تخالفوا على الرئاسة والتصدر وتباينوا في الفكر والاجتهاد لان الذكاء غالب عليهم وحب الذات مستحكم في شغاف قلوبهم فلا تستغرب بعد هذا ان اصيبت اكثر اعمال الجماعات عندهم بالشلل والفشل) .

وصفوة القول في المجتمع الدمشقي اليوم انه مجتمع محافظ على الاخلاق متشدد في امور العرض وفي كل ما يختص بتقاليده وعاداته الموروثة يغلب عليه الجد والرزانه والوقار والصبر على المكاره ، والدمشقي يلتزم ذلك في بيته وبين ذويه وفي قوله وفعله وهو يكره الطيش والرعونة والشكوى الصريحة ويتعشق التطور والتمدن ويأخذ باهداب النهضة الفكرية والاجتماعية ، اذ لم تطل حيرته بين

تيارات الحضارة العالمية المعاصرة ، فأخذ بتعليم المرأة واقر لها بحقوقها الاصلية كأم وزوج ومواطنة ، وقد بدأ بتوحيد الزي والاقلاع عن بعض العادات الذميمة البالية في الاعراس والمآتم . وهذا الاستعداد في النهوض والتقدم يجب ان نتعهده برفق وان ننظمه بتؤدة وان نتعمق في فهم نفسية هذا المجتمع العريق — التي توفرنا على تحليلها فيما سبق من هذا البحث — لنستطيع تعبئة قوى الخير فيه وبعث الحماسة والاهتمام في نفسه بحيث يمكن ان نعوّل عليه ونعتمد على مؤازرته ومساعدته في مختلف برامج النهوض وشتى مراحل التقدم والانعاش الاجتماعي .

٤ — انماط المجتمع الدمشقي :

رغم ان المجتمع المحلي الدمشقي يمكن ان يقسم بوجه من القسمة الى ثلاث طبقات : طبقة رأسمالية أرستقراطية وطبقة متوسطة بورجوازية وثالثة شعبية عاملة ، الا ان هذا التقسيم لا يدلنا بصورة واضحة على التوزع الصحيح لاختصاص المجتمع الدمشقي ، هذا التوزع القائم على اداء فعاليات واحدة والتوفر على مهن ارتزاقية واختصاصات اقتصادية متشابهة ، مما تتوطد تبعاً له العلاقات بين الافراد وتنشأ فيما بينهم روابط خاصة وعادات متميزة واعراف ومواضعات مشتركة .

وسنقتصر في هذا البحث على دراسة نمطين اساسيين من انماط المجتمع الدمشقي المحلي وهما المجتمع الصناعي والمجتمع التجاري ، اي مجتمع الاسواق والتبادل و نتناول بصورة عارضة التبادل الزراعي .

١ ـ المجتمع الصناعي :

قال ابن خلدون : (الصنائع لا بد فيهامن العلم وانك لتجدها في الامصار الصغيرة ناقصة ، ولا يوجد منها الا البسيط ، فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل ، وعلى رسوخ الحضارة وطول امدها تكون جودة الصنائع في الأمصار) .

أ ـ صنائع دمشق وعراقتها :

وقد عرفت دمشق من قديم الازمان برقيها الصناعي وتسلسل تقاليدها الصناعية اذ كان الخلف يأخذ عن السلف الدربة المهنية والاسرار الحرفية . وقد ساعدها على ذلك توفر اكثر موادالصناعة الاولية فيها ، من حرير وصوف وقطن وكتان وشمندر واسمنت وغيرها . وقد استبحرت الصناعات في دمشق وتعدت الحصر حتى ان صاحب قاموس الصناعات الشامية احصى في دمشق (٣٤٠) حرفة وصناعة .

ب – انواعها وتوزعها :

ومن اشهر الصناعات الدمشقية ، الغزل والحياكة والنسيج فقد ذكر الادريسي « ان دمشق كانت في عصره جامعة لصنوف المحاسن وضروب الصناعات وانواع الثياب كالخز والديباج النفيس وقال ان الدمقس مشتق من دمشق » . ولما نقل الدمشقيون صنعة الاقمشة المزركشة بالرسوم من الحرير والكتان الى اسبانيا نسبت الى دمشق وقالوا في فعلها «Damasser» اي صنع ثياباً على النمط الدمشقي وقد عرفت دمشق في العالم كله حتى اليوم بصناعة (البروكار) ومنسوجاتها الغزلية الفائقة المسماة (بالدامسكو) نسبة الى دمشق . يضاف الى ذلك صناعات الاعبئة والعقل والدباغة والنجارة العربية التي تشهد باصالتها قصور دمشق التاريخية ، وصناعة الزجاج التي عدها الثعالبي من خصائص الشام فقال : (يضرب المثل في زجاج الشام في الرقة والصفاء) .

وقد كان توزع الصناعات اما بحسب العائلات او بحسب الاحياء او بحسب الطوائف والملل ولا تزال في دمشق حتى اليوم عائلات تكنى بمهنها كالقزاز والخياط والنويلاتي واللحام والعطار والحصري والنحاس وغيرها ، اما التوزع بحسب الاحياء فالغالب ان

يكون اكثر الحمامين والخبــازين من الميدان واصحاب الانوال والنساجين من القيمرية التي كانت تسمى (الهند الصغيرة) واكثر الموظفين ورجال الدواوين كانوا من حي (سوق ساروجا) الملقب (باستنبول الصغيرة) كما يغلب على حي القنوات طــابع التجار والمزارعين .

وهناك مهن قد تم توزع الاختصاص فيها تبعاً للملة كالصرافة والصياغة والنحاته وتجارة الجوخ وكان معظم المشتغلين فيهـــا من النصارى اما الحرف الدنيا وتصليح المجاري والنقش على النحــاس وغيرها فكانت من اختصاص اليهود .

جـ ـ مشايخ الحرف :

وقد كان لكل حرفة زعيم او نقيب او عريف او من يسمى (بشيخ الكار) الذي يمثل مصالح الحرفة وينقطع في الغالب لهــا ويفض المنازعات بين ممارسيها وكان حكمه في ذلك مبرماً نافذاً ، كما انه يمثل الحرفة امام السلطات ويسعى في محــاربة الغش والتلاعب ويمنح شهادة الجدارة والاهلية لتعاطي المهنة .

وقد حاول العثمانيون تنظيم هذه الحرف فأصدروا (قانون الحرف العثماني) الذي لم يكن ليطبق تطبيقاً جدياً .

د ـ اثر التقاليد الصناعية في الاخلاق :

وقد ظهر انعكاس التقاليد الصناعية في اخلاق المجتمع الصناعي الدمشقي فنمت فيه الروح القومية والمثل الاخلاقية ونشأ على التسامح الديني والاخاء الاجتماعي كما قل فيه المتشردون والعاطلون وتعود الصناع فيما بينهم على التعاون والتضامن والتكافل فكانوا الطبقة الشريفة المنتجة النافعة .

وقد كان اصحاب الحرفة الواحدة يشكلون في علاقاتهم المهنية وصلاتهم الاجتماعية وحدة ثقافية وخلية اجتماعية لا فرق فيها بين رب العمل والعامل ، يشتركون نهاراً في العمل وليلا في القصف والسمر ويجتمعون على افراح الحياة واتراحها .

هـ ـ الثورة الصناعية والتكتل النقابي وتشريع العمل:

وقد ظل المجتمع الصناعي على ذلك حتى هبت ريح الثورة الصناعية فعصفت به وزعزعت روابطه وطردت الذراع الفولاذية الذراع البشرية ، وتضخمت وسائل الانتاج ولم يعد في وسع الفرد تملكها ، كما توسع رأس المال الموظف في الصناعة وازداد التخصص في العمل وبدأت اعراض الافراط والتخمة في الانتاج ، وبدأ لون جديد من الاسترقاق المادي واستثمار اليد العاملة من قبل اصحاب

الصناعات الآلية الحديثة ، فعرف العمال نوعاً من التقدم غير الانساني كما ذاقوا ويلات الكساد والجوع والبطالة والحرمان . فتبين للعمال بوضوح ان الزمان الذي كانت فيه الحرفة تمثل مصالحهم ومصالح معلميهم وشيوخ حرفهم قد ذهب الى غير رجعة ، وان مصالحهم قد قامت في جانب ومصالح اصحاب رؤوس الاموال والمؤسسات الصناعية في جانب آخر وبدأت المحاولات والاعتصابات والتكتلات في المعامل وانبثق عنها عام ١٩٢٥ اول نقابة عمـالية في سورية باسم « نقابة منسوجات التريكو الوطنية » وبذلك تم انفصال العمال عن ارباب العمل وبدأت شخصيتهم بالاستقلال . وقد كان صدور قانون العمل السوري في ١٩٤٦/٦/١١ بعد حملة من الاضرابات والمؤتمـرات العمالية ، نصراً لقضية اليد العاملة اذ تضمن من المبادىء الانسانية ما كفل لهم كرامتهم وضمن تكتلهم وحمى اجورهم وحدد ساعات عملهم واعطاهم الحق بالاجازات الصحية والاسبوعية والسنوية المأجورة وحماهم من طوارىء العمل وامراض المهنة ووفر لهم تعويضاً عادلا في حالات التسريح . وقد نشطت الحركة النقابية في سورية خلال السنوات العشر التالية لصدور تشريع العمل بشكل لم يعهد له نظير .

ورغم ما وصلت اليه القضية العمالية من حقوق ومزايا ،فان النقابات لا تزال في صراع مستمر للحصول على مستوى الحياة الانساني

اللائق الكريم وللوصول الى العدالة الاجتماعية الكاملة .

٢ – مجتمع الاسواق والتبادل :

ا – عوامل التبادل : ان من ابرز العوامل التي تدفع البشر على التبادل التجاري ثلاثة عوامل :

اولاً – التخصص في العمل وهو يزيد في المهارة ويثبت التقاليد الصناعية ويساعد على فيض الانتاج .

ثانياً – التفاوت في الاستعداد الطبيعي بين بلد وآخر من حيث المناخ والتربة وتوفر الشرائط الطبيعية والمواد الاولية .

ثالثاً – تنوع الاذواق وتعدد الحاجات .

ب – عراقة دمشق التجارية : لقد اتيح لدمشق منذ القدم موقع جغرافي ممتاز ، فهي واسطة العقد في التبادل التجاري بين البلاد العربية ، زد على ذلك مهارة صناعها وعراقة اذواقهم وتنوعها وكرم طبيعتها وخيرات ارضها وقد كان الدمشقيون وما زالوا رجال تجارة وتبادل ، لم يدعوا بقعة من بقاع العالم المعروف الا اتصلوا بها وتبادلوا معها حتى اشتهرت هممهم في الخافقين ، قال حافظ ابراهيم :

ورجـــال الشآم في كرة الار
ض يبـــارون في المسير الغماما

ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا
موقــع النيرين خاضوا الظـــلاما
يتطون الخطـــوب في طلب العيش
ويـــبرون للنضال السهـــاما

وقد كان اول اتفاق تجاري عرف في العالم هو ايلاف قريش الذي اخذه هاشم بن عبد منـــاف جد الرسول من قيصر الروم في دمشق وهو العهد المذكور في القرآن بهذا الاسم والذي سمح بموجبه لتجار قريش بالتبادل التجاري مع ديار الشام .

جـ اسواق دمشق ومراكز التبادل : وقد كانت تقـام في دمشق اسواق تجارية دورية اشبه بالمعارض الدوليـة قال البيروني : (كانت تقــام في دمشق في كانون الاول من كل عام سوق تعرف بسوق قضيب البان) . وعادة اقامة الاسواق المحلية لم تزل سارية في دمشق حتى اليوم ، فهناك سوق الاحد للدواجن ومشتقاتها وسوق الجمعة للنسيج والملابس والاقمشة وسوق للجمعة ايضاً تعقد في اطراف المدينة لبيع الدواب .

كما كان لدمشق عدة مواسم تجارية منها موسم حجاج بيت المقدس وموسم حجاج بيت الله الحرام الذي ما زال قائماً حتى الآن .

وهناك مركزان للتبادل التجاري همـــا (سوق مدحة باشا) ويجرى فيه بيع البسط والعبي والعقل من صنع دمشق وحمص وحلب وعلاقته مع سورية الجنوبية (حوران وجبل الدروز) كما ان هناك بعض الاسواق المتخصصة في هذه المنطقة كسوق الصوف وسوق القطن وسوق الغنم . والمركز الثاني هو مخازن الحبوب او ما يسمى (بالبوايك) في حي الميدان ففيها يتم تبادل المنتجات الزراعية اي الحبوب بانواعهـا . وترتبط هـذا الحي بحوران روابط متينة . اذ تعتبر (البايكة) بمثابة مصرف زراعي يستلف الفلاح منه البذار او ثمنـه ويرده بعد الحصاد مع الربح والزيادة ، وقد نشأت مع الزمن علاقات تجارية زراعيـــة بين اصحاب مخازن الحبوب وبين فلاحي حوران كما نشأت بينهم روابط اجتماعية في الافكار والعادات .

د ـ الروابط الاجتماعية وعقلية المجتمع التجاري .

أما عقلية المجتمع التجاري عندنا فعقلية محافظة تؤمن بالغيب والقدر خيره وشـــره من الله تعالى ، والتجار يعوضون بالآخرة ما غرقوا فيه من أمور الدنيا ، والعـــلاقات بينهم قائمة على المنافع في الدرجة الاولى ، فتراهم لا يقيمون حفلا ولا يحضـرون مأدبة الا وتحدثوا فيها بالتجارة وباعوا واشـــتروا ونظموا الصفقات . وحب

الربح قـــد اصبح فكرتهم الثابتة لا يعرفون لعقلهم ولا لجسمهم وعوائلهم عليهم حقا ، اذا تعارض مع كسبهم ، لذلك كانوا لا يعطلون يوماً في الاسبوع ولا في السنة ولا يشعرون بضرورة للاستجمام وكانوا يربون تبعا لذلك عمالهم ومستخدميهم،حتى وعى العمال حقوقهم وعرفوا مالهم في اعناق ارباب عملهم من مطالب، فنادوا بها وحصلوا عليها ، فتنبه ارباب العمل حينذاك وانتقلت اليهم عـــدوى التنظيم والتقدم من العمال ،فتكتلوا هم ايضا واسسوا صفا مقابلا من النقابات طالبت بالتنظيم والدفاع عن مصالح ارباب العمل . وقد اخذ ارباب العمل والصناع بتنظيم ساعات الفتح والاغلاق وبدأوا يتمتعون هم ايضا بالعطل الاسبوعية والسنوية وعطل الاعياد ، كما شعروا بضرورة التعاون مع عمالهم ورفع مستواهم وحمايتهم من جميع الافات المهنية لانهم آمنوا بان ذلك هو الطريق الوحيد لرفع حصائل انتاج العمال ونجاح العمل وازدهار المشروع .

الباب الثالث

النهوض بالمجتمع المحلي

١ – تعريفه : يمكننا تعريف النهوض بالمجتمع المحلي بانه:

« كل تصميم او تدبير جماعي منظم ملائم يهدف الى رفع مستوى المجتمع من الناحيتين المادية والمعنوية » .

٢ – اسباب النهوض وموانعه :

اذا تخطينا مفهوم التصميم او (التخطيط) في التعريف المثبت اعلاه ، اذ اننا سنفرد له بابا خاصا في هذا البحث ، فانه يتبين لنا ان النهوض بالمجتمع المحلي يجب ان يكون عملا جماعيا طوعيا تلقائيا منظما واعيا صادرا عن المجتمع المستهدف للنهوض ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية يجب ان يكون عمل النهوض مرغوبا فيه اي ملائما متفقا

مع رغائب المجتمع في الاصلاح والتقدم ، محافظا الى حد بعيد على القيم الاصلية السائدة فيه .

ومعيار الملاءمة في كل مجتمع مرده الى الرأي العام فيه ، وهنا يصطدم النهوض بالمجتمع المحلي العربي عامة والسوري خاصة بعقبة كأداء سببها جهلنا بطبيعة الرأي العام لدينا او اختلال مقوماته عندنا الى حد بعيد .

وكما ان اختلال الرأي العام او ضعفه يشكلان اكبر عائق في سبيل النهوض بالمجتمعات ، فان تكون الرأي العام الواعي المستنير في مجتمع ما هو اعظم ركيزة واقوى دعامة في كل تقدم اجتماعي وطيد .

٣ ـ الرأي العام :

لذلك كان لا بد لنا هنا من الوقوف طويلا لنتعرض بالدراسة والتحليل والبحث لمؤسسة الرأي العام نظراً لاهميتها القصوى في بناء صرح العمل الاجتماعي ونجاحه .

١ ـ مفهوم الرأي العام :

ان فكرة الرأي العام قديمة، قدم الانسانية فقد قال الرومانيون قديما : (صوت الشعب من صوت الله) « Vox popoli . Vox dei » كما بين وليم تمبل عام ١٦٧٢ في كتابه عن (منشأ الحكومة وطبيعتها)

ان مصدر السلطة هو « الرأي السائد » . ثم حاول — جون لوك — عام ١٦٩٠ في مقاله (فهم البشر) ان يعرف الرأي العام فسماه (قانون الرأي) ثم انتقلت الفكرة الى فرنسا حيث يمكن ان نعتبر ان مفهوم الفكر العام « Esprit Général » التي طلع بها « مونتسكيو » والارادة العامة . « Volonté Générale » التي بشر بها — روسو — هي اقرب شيء لما نسميه نحن اليوم بالرأي العام .

٢ - طبيعة الرأي العام واهميته :

عرف البشر حتى اليوم نوعين رئيسيين من الرأي العام ، ستاتيكي جامد وديناميكي متحرك ، فالاول يدور في فلك التقاليد والعادات اما الثاني فيقوم على المنطق والبرهان والقياس ويعتمد على الحجة والاقناع والدعاية المنظمة كما يعتمد على الحوادث التاريخية وعلى اثارة الرأي ، وينمو هذا النوع من الرأي العام في المجتمعات المحلية في المدن حيث تتميز حياة الشعب بضغط الاتصال اليومي والتبادل الجماعي للآراء والافكار .

فالرأي العام الحقيقي يجب ان يستند الى حكم اكثرية الشعب في قضية ذات اهمية اجتماعية عامة وذلك بعد بحثها بحثا يعتمد على التفكير والوعي . ويشترط في كل رأي عام محرك دافع في مجتمع

ديمقراطي ما ان يكون عاما حقا ، والاجماع ليس ضروريا ، الا أن الرأي العام يجب ان يكون بحيث يجعل الاقلية غير الموافقة تنضم الى رأي الاكثرية عن طواعية وقناعة لاعن قسر وحقد واذعان .

٣ ـ القياس العلمي للرأي العام :

والآن كيف نستطيع ان نقيس الرأي العام حيال قضية من القضايا الاجتماعية ؟ ماذا يعتقد الدمشقيون مثلا بالتعليم المختلط او بسفور المرأة ؟ او بغير ذلك من القضايا الاجتماعية ؟

ان لقياس الرأي العام وسيلتين اولاهما وهي الاقتراع والانتخاب،لامجال لبحثها هنا وثانيتها الاستفتاء . وطرائق الاستفتاء عديدة اهمها طريقتان اولاهما الصحف والثانية اختيار النماذج ،وهو على نوعين : النموذج الاعتباطي والنموذج التمثيلي.وفي النوع الاول يتم استفتاء الاشخاص اعتباطا او بطريق الصدفة،في حين انالنموذج التمثيلي يجري فيه اختيار نماذج الاستفتاء بحسب طبقات المجتمع المحلي وطوائفه ونسب سكانه ودرجات ثقافاتهم ومستوى اعمارهم ومعدل دخلهم.

ويمكننا أن نأخذ مثالا على القياس العلمي للرأي العام الدراسة التي قام بها (شارل بتليم وسوزان فرير) عام ١٩٥٠ عن مدينة (اوكسير) في فرنسا ، اذ طرح فيهاعشرةمنالباحثين (١٣٩)

مجموعة من الاسئلة على (١٨٠٦) من الاشخاص انتقوا من بيئات واوساط وشرائط اجتماعية مختلفة .

٤ - طرق تنوير الرأي العام :

تتضح مما تقدم اهمية الرأي العام في كل اصلاح اجتماعي ديمقراطي يقوم على معاضدة الشعب الطوعية واقتراحه للتدابير التقدمية المرغوبة ، لذلك كان العمل على تنوير الرأي العام من اهم الوسائل المؤدية الى نجاح العمل الاجتماعي . وقد اخذت اكثر الدول بوسائل لتنوير الرأي العام اهمها :

أ - الثقافة الشعبية : درجت الدول الغربية اخيرا وخاصة فرنسا على اسلوب الثقافة الشعبية « L'Education Populaire » التي تستهدف اتاحة الفرص للمواطنين في المدن والقرى حول المدرسة وخارج حدودها ، بأن يوسعوا آفاق مداركهم وينموا حصيلة اختباراتهم ويوسعوا مرامي تفكيرهم وبالتالي لاغناء عقولهم وتذوق نعم الحياة الكبرى والمساهمة في بناء الرأي العام الواعي .

وتعتمد الثقافة الشعبية ، لاداء رسالتها في تنوير الرأي العام ، على ثلاث مؤسسات هي الصحافة والسينما والاذاعة ، ناهيك بالمكتبات والاندية والمعارض والمتاحف .

ب – الصحافة : ان مهمة الصحافة الرئيسية تتلخص – كما جاء في النظام الاساسي لجمعية محرري الصحف الاميركية – في ان تنقل الى الجنس البشري مايصنع ابناؤه او مايساورهم من الشعور او مايجول في خواطرهم من الافكار ، لذلك فانها تتطلب من القائمين بها ذكاء فائقاً ومعرفة عميقة واختبارا واسعا كما تتطلب قوة ملاحظة ودقة تفكير موروثتين ومكتسبتين .

وقد اقرت اليوم مبادىء اربعة اساسية للصحافة هي :

المسؤولية : التي تسمح للصحيفة ان تجتذب قراءها ما شاءت مع مراعاة المصلحة العامة ، ويتوقف اهتمام الرأي العام بالصحيفة على مقدار شعورها بهذه المسؤولية .

حرية النشر : يجب ان تقوم الصحافة على حرية النشر في حدود الصالح العام والآداب العامة .

الاستقلال : وهو الانعتاق من الواجبات ، عدا ما تفرضه المصلحة العامة والوطنية واتباع النزاهة وعدم التحيز .

الاخلاص والصدق والدقة: يفترض الصدق في كل صحيفة ولا يجوز التغاضي عنها لعدم تمحيصها الحقائق ، ومن اسباب الصدق ان تشير العناوين الرئيسية بدقة الى محتويات ابحاث الصحيفة .

جـ – **السينما** : سئل هتلر عام ١٩٣٩ عن اهم اسلحة الرايخ الحديثة فقال انها (٦٠٠,٠٠٠) آلة لعرض الاشرطة السينمائية ، وقد نشأت في فرنسا اندية للسينما تدعى « Cinéma - Clubs » تعرض فيها افلام تمكن مشاهديها من التعرف على الحقائق الثابتة وتكوين وتنمية الفكر والكشف عن الصلات التي تربط العامل بالمهنة والطالب بالمنهاج والمواطن بالدولة والفرد بالمجتمع والعالم ، كما ان من اهم خصائصها رسوخ المعلومات بالسمع والبصر . اذ ان مهمة الفيلم الثقافي هي بيان كيف تحدث الاشياء ، لا كيف تبدو هذه الاشياء . واخيرا فقد برهن الفيلم الثقافي على انه يقتصد في الوقت ويوفر في الجهد ويعاون على الحفظ والتثبيت ويخلق قوة الملاحظة ويشجع على زيادة المعرفة ويوجد بين الجماعات علاقة المشاركة وروح التعاون التي هي اساس التقدم الاجتماعي .

د – **الاذاعة** : تتميز الاذاعة بانها اداة تثقيف من الطراز الاول اذ ان مهمتها تفوق مهمة الصحافة والسينما لسهولة وسائلها واتساع انتشارها ولشمول فوائدها المتعلمين والاميين ، ويمكن ان

تستخدم الاذاعة في نوعين من الثقافة مقصودة وغير مقصودة ، والاولى هي مايعد للاذاعة من برامج خاصة واحاديث مختارة كركن العمال مثلا وبرنامج الجندي اما الاخرى فهي البرامج العادية للاذاعات التي تتضمن بصورة طبيعية بعض عناصر التثقيف والتوجيه والارشاد. ويكفينا للتدليل على اهمية الاذاعة ومدى انتشارها في الدول الراقية ان ندلي بالاحصاء التالي : ففي الولايات المتحدة اليوم (١٤٨٠) محطة ذات موجات مذبذبة و (٣٨٣٠) محطة ذات موجات مستمرة ، ثمنها (١٢٠) مليون دولار . وفيها (٧٠) مليون جهاز راديو أي مايكفي (٩٦) في المئة من الاسر الاميركيـة . وكان متوسط الوقت الذي تصرفه العائلة الاميركية قرب الراديو يوميا يقارب خمس ساعات .

٥ — **التلفزيون** : رغم حداثة مؤسسة التلفزيون في حياتنا العربية فانه يعتبر على المستوى العالمي أهم الوسائل السمعية والبصرية في نقل المشاعر ونشر الثقافة والتوجيه وفي الاعلام بوجه عام .

فقد استخدم في المدارس والجامعات كما استغل في المعـامل والمختبرات لنقل التوجيهات الادارية ونشر مبادىء التعقيل والترشيد في الصناعة كما استفيد منه في نشر البرامج الموجهة لفئات من المواطنين كالجنود والعمال والطلاب ، فهو في عصرنا الحاضر اداة التوجيـــه والتثقيف والترفيه التي لا تضارعها اداة في نشر رسالة الألفة والمحبة والعلم والمعرفة بين بني البشر وبالتالي من تنوير الرأي العام .

البَابُ الرّابعُ

التصميم أو (التخطيط)

للنهوض بالمجتمع المحلي

لقد آثرت في هذا البحث الأخذ بتعبير التصميم للدلالة على التخطيط وذلك لاسباب شتى منها اشتمال التصميم على معاني الانشاء والاعـــداد والعزم والمضي واقتصار مفهوم التخطيط على مدلول مادي هندسي .

فالتصميم ورسم المناهج غدت اليوم آية العصر واساسا لشتى العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

١ — مراحل التصميم :

يمر التصميم في ثلاث مراحل هي :

أ — تقرير المثل العليا ومسح حاجات المجتمع

ب — بيان انجع الوسائل لتحقيق هذه المثل وسد تلك الحاجات

ج — ادارة هذين المبدأين .

٢ - اركانه :

والتصميم يقوم على اربعة اركان هي :

١ — التقدم

يقوم التصميم على فكرة النهوض والتقدم التي تتضمن كل تدبير او عمل مرغوب فيه من عامة الشعب .

٢ — التطور

ليس المقصود هنا بالتطور التحولات العفوية ، بل الارتقاء الشعوري والنشوء الواعي .

٣ — البحث العلمي

اذ به تنمو قدرة الانسان على التنبؤ بحوادث المستقبل ، قال اوغست كونت : « بالعلم يكون التنبؤ وبالتنبؤ يكون العمل » .

٤ — نضج التفكير الديني

لقد ظل البشر آلاف السنين قدريين تواكليين حتى بدأ بعض المفكرين الدينيين يعتقدون ان الله يريد ان يشرك الانسان بمسؤولية العناية بنفسه ، اذ ترك له حرية التمييز والاختيار ، وساعدت

على ذلك تعاليم الاسلام التي جزمت بانه « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وهذا النوع من التفكير الديني قد شدد على واجبات التربية وعلى تحسين النسل واعادة بناء نظام المجتمع .

٣ - طوابع التصميم وميزاته :

احصى ستيوارت ضود في كتابه « العلاقات الاجتماعية في الشرق العربي » عدة مميزات وطوابع للتصميم تختلف قيمته تبعا لما يحتويه منها واهمها هي التالية :

١ - تعيين الاهداف :

يتحتم على كل باحث في التصميم الاجتماعي ان يقوم بعملية مسح وتحديد للمثل الاجتماعية والاهداف التقدمية التي يرغب الشعب في تحقيقها بواسطة المشروع ، ونجد آثار هذا المسح والتحديد للمثل في جمهورية افلاطون وفي شريعة حمورابي وفي وصايا موسى العشر . اما الاشتراكية فقد عبرت عن اهدافها بجملة بسيطة وهي « من كل حسب قابليته لكل حسب حاجته » ويعتبر تصريح فيلادلفيا المتضمن دستور منظمة العمل الدولية تحديدا ورسما لاهداف العدالة الاجتماعية الدولية في هذا العصر . وقد قامت حلقات الدراسات الاجتماعية التي عقدتها الجامعة العربية فيما اصدرته من توصيات بتعيين الاهداف العامة للنهوض الاجتماعي في العالم العربي .

٢ ـ وضع المنهاج :

يجري وضع المنهاج على ضوء تعيين الاهداف وتقريرها وهو يعين الخطة المفصلة للخطوات التي يجب ان تتخذ لبلوغ تلك الاهداف ، وعلينا عند رسم المناهج ان نأخذ بمبدأ تصنيف الحاجات بحسب اولويتها وضرورتها للمجتمع ويمكننا في هذه العملية استخدام المؤسسات الاجتماعية ، ذلك لانها عملية كلية ، ضرورية شاملة لجميع الثقافات ، ثانيا لان هذه المؤسسات تعبر عن حاجات الانسان الطبيعية وضرورات حياته ، واخيرا لانها تساعدنا على جعل تعريفنا للاهداف تعريفا عمليا .

٣ ـ تعيين المناطق :

يجب ان يعنى التصميم بتعيين المنطقة او الحيز الذي يتناوله ويطبق عليه ، فالتصميم قد يكون لبيئة معينة كمدينة دمشق مثلا او لامة كمشروع الخمس السنوات الروسي او لمجموعة امية كتوصيات حلقات الدراسات الاجتماعية وقد يكون للعالم بأسره كميثاق منظمة الامم المتحدة .

اما هذا البحث فيختص بمستوى المدينة ويتناول بالتحديد حيزها المكاني كبيئة طبيعية واجتماعية معينة .

٤ - اختيار اجهزة التنظيم :

لابد في كل تصميم من اجهزة ادارية وتنفيذية تلقى على عاتقها تبعات العمل الاجتماعي الجبار ، وقد تناولت حلقات الدراسات الاجتماعية للجامعة العربية مواضيع اعداد الاخصائيين الاجتماعيين بصورة لاتدع مجالا لمستزيد الا اننا بالاضافة الى الموظفين والاخصائيين الذين يعهد اليهم بتنفيذوادارة التصميم نحتاج الى انواع ثلاثة من الاجهزة :

جهاز البحث وجهاز التصميم وجهاز الشعب المساهم

اما جهاز البحث فيتلخص عمله في جمع المعلومات وتوجيه الاستبيانات ووضع التقارير وضبط الاحصاءات .

وجهاز التصميم يضع الخطط والمناهج في ضوء البحوث والتحريات والاحصاءات المقدمة من جهاز البحث . ويجب ان يتألف جهاز التصميم من الرواد الشعبيين والقادة المحليين الذين يدركون اكثر من غيرهم مافي مجتمعهم من نقص وعجز فهم قادرون بالتالي على تصنيف الاهداف والبرامج بحسب اهميتهاودرجة ضرورتها للمجتمع واخيرا فانهم يتمتعون باحترام في مجتمعهم يساعد على الوثوق بالاعمال التي يساهمون فيها .

اما جهاز الشعب العام ، فعلى حسن تعاونه يقوم نجاح التصميم فيجب ان نضمن هذه المعاونة ونجعلها عفوية طوعية صادرة عن المجتمع المستهدف اصلاحه في عمليات التصميم ، وقد فصلنا طرق ضمان مساعدة الشعب واستثارة حماسته في الباب المتعلق بالرأي العام من هذا البحث .

٥ - التوقيت :

كل تصميم واضح يجب ان يقترن بالتوقيت ، فذكر العمل دون تعيين الكمية الواجب انجازها منه سنويا مثلا او كل خمس سنوات يضيع اهداف التصميم ويقلبه الى تطور عفوي وتحول كيفي . وان التوقيت يسمح لنا بأن نقرن الاهداف المقررة بالمدد المرصودة لتنفيذها ، وهو يتوافق ايضا مع تصنيف البرامج الاجتماعية الى مشاريع قصيرة الامد واخرى طويلة الامد كما انه يساعد على تصنيف البرامج الاجتماعية بحسب اهميتها واولويتها الى برامج عاجلة واخرى آجلة .

٦ - التمويل :

لعلّ من اعقد المشاكل التي تجابه كل تصميم او اصلاح اجتماعي في سورية والعالم العربي ، ضعف الموارد المرصودة لتنفيذ برامج التقدم الاجتماعي . يقول روبير فاريس في كتابه علماء

الاجتماع في القرن العشرين : (ان وفرة الاموال الموضوعة تحت تصرف علماء الاجتماع ، كانت عاملا اساسيا في نجاح علم الاجتماع الاميركي وهذا دليل بارز على ارتفاع مستوى حياتنا) .

وقد بين الباحثون العرب في شتى بحوثهم وحلقات دراساتهم طرق تمويل الفعاليات الاجتماعية وافاضوا في ذكر ابواب هذا التمويل ، الا انني اود ان اذكر بايجاز العوامل التي تعوق هذا التمويل . واهمها اولا : عدم ايمان السلطات التي تضع يدها على رؤوس الاموال التي رصدها المجموع لرفع مستواه الثقافي بقيمة العمل الاجتماعي ، ايمانا يجعلها تنفق في سبيله ما تحت يدها من اعتمادات مجمدة وثانيا : عدم قناعة المجموعات البشرية المعنية بالامر بضرورة وجدية عمل الباحثين الاجتماعيين ، كي تقبل تدخلهم وتمدهم بالعون المادي والتشجيع المعنوي ، لذلك يقتضي لهذا التصميم ان يجمع بين عمل الباحثين ورغائب الامة الاصيلة .

قال روجيه جيرو في دراسته عن البحث الاجتماعي العملي والبحث الاجتماعي العلمي (يبدو ان علماء الاجتماع يستطيعون بيسر وسهولة الانتقال من مرحلة التأليف والانشاء الادبي الى مرحلة البحث والاستقصاء العلمي متى وطدوا النية على ربط عملهم بالرغائب التي تدفع بالمجتمع ، الذين يشكلون جزءا منه ، نحو تحسين شرائط

حياته فاذا لم تتحقق هذه الصلة المتينة فانه لن يتسنى للعمل الاجتماعي ان يبلغ مايراد له من التقدم والكمال) .

٧- التسجيل والاحصاء :

يجب ان يقترن التصميم بالاستقصاء والبحث والاحصاء ، فبها يمكن ان نحصل على المسلمات اللازمة كأساس للتصميم ، وعلى ذلك فان اجهزة التصميم يجب ان تبدأ بتسجيل جميع خطوات العمل في المناهج وتحليلها والمقايسة بينها والتعبير عنها بتقارير علمية وخطوط بيانية و كذلك تسجيل النتائج العملية وردود الفعل الاجتماعية ، واخيرا فان التسجيل والاحصاء يمكناننا من المقارنة بين التغيرات المتنبأ عنها في المشروع وبين التغيرات التي وقعت فعلا ، وبذلك تعرف درجة نجاح المشروع .

والخلاصة ان على التصميم الاجتماعي ان يقوم على اساس من الملاحظة الدقيقة والتجارب العميقة والاستفتاءات الحرة لكي يصح الركون الى جدية نتائجه وصحة استنتاجاته .

٨ - التنسيق :

لما كان التصميم الاجتماعي يستهدف دوائر اجتماعية ومناطق طبيعية معينة فقد كان لابد من تنسيقه على مستويات مختلفة ،اذ يجب ان يتم التنسيق بين التصميم في نطاق البلدة والمنطقة والدولة،وتقايس

النتائج وتضاهي، وهذا يساعد على تبادل الخبرة ويمنع تبديد الجهود، وفي نطاق حلقات الدراسات الاجتماعية يمكن ان يتم التنسيق دوليا بين دول الجامعة العربية والشرق العربي التي تتقارب الى حد بعيد مستوياتها الاجتماعية وامكانياتها البشرية والاقتصادية وتقاليدها الثقافية والقومية . ويمكن ان يتناول التنسيق في هذا المستوى تبادل البرامج والتصاميم ومضاهاة الخطط والمناهج وتبادل الخبراء وتوزيعهم بشكل طبيعي بين شتى الدول العربية ، وان عمل اجهزة التنسيق يتم بيسر وسهولة في البلد الذي يبدأ في بناء صرح نهضته الاجتماعية اكثر من البلد العريق بتقاليده ، الماضي منذ زمن بعيد في نشاطه الاجتماعي .

٩ ـ الدعاية والنشر :

واخيرا لابد لضمان نجاح كل تصميم اجتماعي من مصاحبته بحملة من الدعاية والنشر سبق ان تحدثت عن وسائلها وطرق تنفيذها في الباب المتعلق بتنوير الرأي العام من هذا البحث .

٤ ـ خاتمة :

وفي الختام ارى لزاما علي ان اؤكد على ان عمل الاصلاح الاجتماعي يتركز في تعبئة امكانيات الامة وحشد قوى الخير فيها

وتوجيهها تلقائياً نحو العمل الاجتماعي الذي هو عملها في الدرجة الاولى ، وتنمية الشعور بالمسؤولية والكرامة فيها ، ولنذكر دوما بانه لن يتسنى للعمل الاجتماعي ان يتقدم الا بقدر مايقدمه للمجموع من خدمات نافعة وبقدر تجاوبه مع الحاجات الاساسية لهذا المجموع واخيرا بقدر قيامه على العون المادي والعضد المعنوي لهذا المجموع مصداقاً لقوله عز وعلا :

« فأما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض » .

خلاصة بحث المجتمع الشامي

توطئة تاريخية :

لم يتح لبلد من بلاد العالم قديمه وحديثه ان يكون مهدا للحضارات الانسانية كبلاد الشام التي اثر موقعها الجغرافي في جعلها واسطة العقد بين مختلف بلاد الارض ومركزا للتبادل العالمي .

ولكن الحضارة العربية وحدها هي التي امتزجت بتاريخ الشام واستقرت في تربتها كما لاءمت اللغة العربية في الفكر الشامي البساطة التوحيدية والنزعة الشمولية .

وقد اثرت الثقافة الشامية في اللغة العربية فرفدتها بالطريقة الشامية في الشعر التي تعبر اصدق تعبير عن صدق قومية الشاميين ورقة شمائلهم واصالة ذوقهم ونضج فكرهم وشعورهم العميق

بالقلق الفلسفي والتمخض الفكري مما كان له اكبر الاثر في اتصال ماضي هذا البلد الغابر بحاضره المعاصر .

١ — طوابع المجتمع الشامي المحلي :

لقد آثرت ان اقصر بحثي على المجتمع الدمشقي المحلي كنموذج كامل الخصائص عن المجتمع الشامي عامة ، اذ ترتسم فيه ابرز صفات المجتمع الشامي وتتمثل اهم طوابعه ومميزاته . فقد مرت دمشق بعهود مظلمة من الاستعمار العثماني والفرنسي حاولت خنق عروبتها وقطع صلتها بماضيها الزاهر . ولكن هذه المحاولات لم تزد الدمشقيين الا تعلقا بماضيهم وحرصا على تقاليدهم . وقد اشتهر اهل دمشق بتنوع اللباس ورقة الحاشية ولطف المعشر وشدة التعلق باعيادهم التي منها عيد الفطر والنحر وعودة الحجاج والختان والموالد كما انهم حريصون على عاداتهم في الاعراس والمآتم .

ويختلف الدمشقيون الى المقاهي للسمر وتدخين النارجيلة ولعب النرد وشرب القهوة والشاي والاستماع الى القصاص الشعبي (الحكواتي) او مشاهدة خيال الظل (القره كوز) الذي يعتبر مؤسسة للنقد الشعبي والتوجيه الاجتماعي وكانت اسرهم تعيش مجتمعة حتى بدأ الجيل الجديد يميل الى التفرد والاستقلال في المسكن

وقد تأثر الدمشقيون بعهود الاستعمار فظلوا يحبون التجاوز على القوانين ويتنافسون على الرئاسة والسلطة .

والخلاصة ان الدمشقي محافظ متشدد في امور العرض والتقاليد والعادات يميل الى الجد والرزانة والصبر والتجلد ويأخذ الى حد بعيد بالافكار التقدمية كما يميل الى مسايرة التيارات الاجتماعية الملائمة والاخذ بمبادئ النهوض الاجتماعي التدريجي .

انماط المجتمع الدمشقي :

يتألف المجتمع الدمشقي من ثلاث طبقات رأسمالية ووسطى وشعبية والاصح مراعاة تقسيمه بحسب الفعاليات الاقتصادية ونقتصر فيها على بحث المجتمع الصناعي ومجتمع الاسواق والتبادل .

المجتمع الصناعي :

عرفت دمشق منذ القدم بعراقتها وتقاليدها الصناعية فقد احصي فيها (٣٤٠) صنعة واشهر صناعاتها النسيج (الدمقس والخز والديباج والبروكار والدامسكو) وكان توزع الحرف فيهـا عائليا او بحسب الاحياء والملل وكان لكل حرفة نقيب يسمى «شيخ الكار» وهو يمثل الحرفة ويسعى لرفع مستواها . وقد انعكس اثر التقاليد الصناعية في اخلاق الدمشقيين فنمت فيهم روح التعاون والتسامح

الديني كما ساعد على تضامن اصحاب الحرف وتعاونهم وتشابك علاقاتهم الاجتماعية .

وقد اثرت الثورة الصناعيـة في انفصال كتلة العمال عن ارباب العمل ومطالبتهم بالحماية تجاه توسع رأس المـال ودخول الالة فعانوا البطالة والجوع والحرمان مما دعا الى تكتلهم في نقابات خاصـة واعتصابهم حتى اقر لهم حق تشكيل النقابات التي عملت على اصدار تشريع خاص للعمل ضمن اجور العمال وحدد ساعات عملهم ومنحهم حق التمتع بالاجازات المأجورة ووفر لهم تعويضا عادلا في حالات التسريح وطوارىء العمل .

مجتمع الاسواق والتبادل :

ابرز عوامل التبـادل ، التخصص في العمل والتفاوت في الاستعداد الطبيعي واختلاف الاذواق وقد تسنى لدمشق بموقعهـــا الجغرافي الممتاز ان تكون مركزا دوليا للتبادل وقـد اشتهرت باسواقها الدورية ومراكز تبادل الحبوب (البوايك) ، وعقليـــة المجتمع التجاري محافظة غيبية قدرية والعلاقات بين التجار قائمـة على المنافع وقد اخذوا اخيرا بمبادىء التنظيم وتكتلوا في نقابات مهنيـة اثرت في رفع مستوى المهن التجارية وتنظيمها .

٢ - النهوض بالمجتمع المحلي

لما كان النهوض بالمجتمع هو كل تصميم او تدبير جماعي منظم ملائم يهدف الى رفع مستوى المجتمع من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية فان اهم اسباب النهوض تتركز في الرأي العام لذلك لابد لنا من دراسته .

مفهوم الرأي العام : قديم ثمنذ ايام الرومانيين كانوا يسمونه صوت الشعب ثم سماه مونتسكيو الفكر العام وسماه روسو الارادة العامة .

طبيعته : الرأي العام اما ان يكون جامدا اتباعيا اومتحركا ابتداعيا والرأي العام الحقيقي يجب ان يستند الى رأي الاكثرية في كل مجتمع ديمقراطي ويجب ان تنضم الاقلية اليه عن طواعية دون قسر اوحقد .

القياس العلمي للرأي العام :

يتم قياس الرأي العام بالانتخاب او بالاستفتاء ويتم بواسطة الصحف او النماذج الاعتباطية او التمثيلية ، المختارة من اشخاص يمثلون مختلف طبقات المجتمع المحلي وطوائفه ونسب سكانه ودرجات اعمارهم ومستوى ثقافتهم ودخلهم .

طرق تنوير الرأي العام :

يتم تنوير الرأي العام باتباع اساليب الثقافة الشعبية التي تتيح للمواطنين حول المدرسة وخارج حدودها ان يوسعوا آفاق مداركهم وينموا حصيلة اختباراتهم وعناصر ثقافتهم . واهم طرق تنوير الرأي العام هي :

الصحافة : التي تعتمد على المسؤولية وحرية النشر والاستقلال والنزاهة والدقة والصدق والتجرد .

السينما : التي تمكن المواطن بواسطة الافلام الثقافية من التعرف على الحقائق الثابتة وتنمية الفكر ، والكشف عن الصلات التي تربط العامل بالمهنة والطالب بالمنهاج والمواطن بالدولة وهي تساعد على رسوخ المعلومات وتعاون على التثبيت وتنمي في الجماعات علاقة المشاركة وروح التعاون .

الاذاعة : وتعتبر اداة تثقيف من الطراز الاول لسهولة وسائلها واتساع انتشارها وشمول فوائدها للمتعلمين وغيرهم .

التلفزيون : وهو اليوم الاداة الاولى لنشر الوسائل السمعية والبصرية في الترفيه والتثقيف وبث البرامج الموجهة وبالتالي في الاعلام بوجه عام .

٣ ـ التصميم او (التخطيط) للنهوض بالمجتمع المحلي

لقد آثرت الاخذ بتعبير التصميم لدلالته على معاني الانشاء والاعداد والعزم والمضي . والتصميم يمر بثلاث مراحل : مسح الحاجات وتقرير المثل ، بيان انجع الوسائل لتحقيقها ، ادارة هذين المبدأين .

مميزات التصميم :

للتصميم عدة مميزات تختلف قيمته تبعا لها واهمها :

١ ـ **تعيين الاهداف** : ويتناول مسح الحاجات وتحديد المثل الاجتماعية التي يرغب المجتمع في تحقيقها .

٢ ـ **وضع المنهاج** : يتم على ضوء عمليات المسح والتحديد السابقة ويؤخذ فيه باولوية الحاجات واسبقية المثل .

٣ ـ **تعيين المناطق** : يجب تعيين المنطقة او البيئة التي يطبق فيها التصميم كالبلدة او المنطقة او الدولة .

٤ ـ **اجهزة التصميم** : لابد في تنفيذ التصميم من ثلاثة اجهزة اولها للبحث ومهمته وضع التقارير وتوجيه الاستبيانات وجمع الاحصاءات والثاني للتصميم ويشتمل على رواد شعبيين وقواد محليين

لمكانتهم في المجتمع وحسن معرفتهم بحاجاته . واخيرا جهاز الشعب المسام الذي لا بد من معاونته لنجاح عمليات التصميم .

٥ ـ **التوقيت** : لابد في كل تصميم من اقترانه بزمن وبذلك تكون البرامج طويلة الامد وقصيرته ، عاجلة او آجلة ويسمح التوقيت بمعرفة الكمية الواجب انجازها من البرامج في زمن معين.

٦ ـ **التمويل** : اكبر عقبة في طريق التصميم هي التمويل واهم اسباب ازالتها : اولا اقناع المسؤولين بضرورة النهوض بالمجتمعات وثانيا اهمية وثوق الشعب بجدية وفائدة الاعمال الاجتماعية ليساعد على انجاحها .

٧ ـ **التسجيل والاحصاء** : وهما يساعدان في الحصول على المسلمات الاجتماعية والتنبؤات الضرورية لنجاح عملية التصميم كما يمكناننا من المقارنة بين التغيرات المتنبأ عنها وبين تلك التي حصلت فعلا وبذلك تعرف درجة نجاح المشروع .

٨ ـ **التنسيق** : يساعد على عدم تبديد الجهود وعلى تبادل الخبرة والبرامج وخاصة في البلاد التي تتشابه اوضاعها وتتساوى درجات تقدمها الاقتصادي ونهوضها الاجتماعي .

٩ ـ **الدعايه والنشر** : لابد لكل تصميم من ان يقترن بحملات دعاية ونشر تحدثنا عنها في صدد تنوير الرأي العام .

الخاتمة

لابد في برامج النهوض بالمجتمعات المحلية من تعبئة قوى الخير فيها وتوجيهها تلقائيا نحو الاعمال الاجتماعية وتنمية شعور المسؤولية والكرامة والوعي لدى الرأي العام فيهـــا كما ان ان العمل الاجتماعي لن يتأتى له ان ينجح الا بقدر مايقدمه للمجموع من خدمات نافعة متجاوبة مع حاجاته الاساسية ليتسنى لبرامج النهوض الاعتماد على العون المادي والعضد المعنوي لهذا المجموع . وهما العنصران الضروريان لنجاح كل عمل اجتماعي وطيد .

فهرس البحث

الباب الاول

الباب الثاني

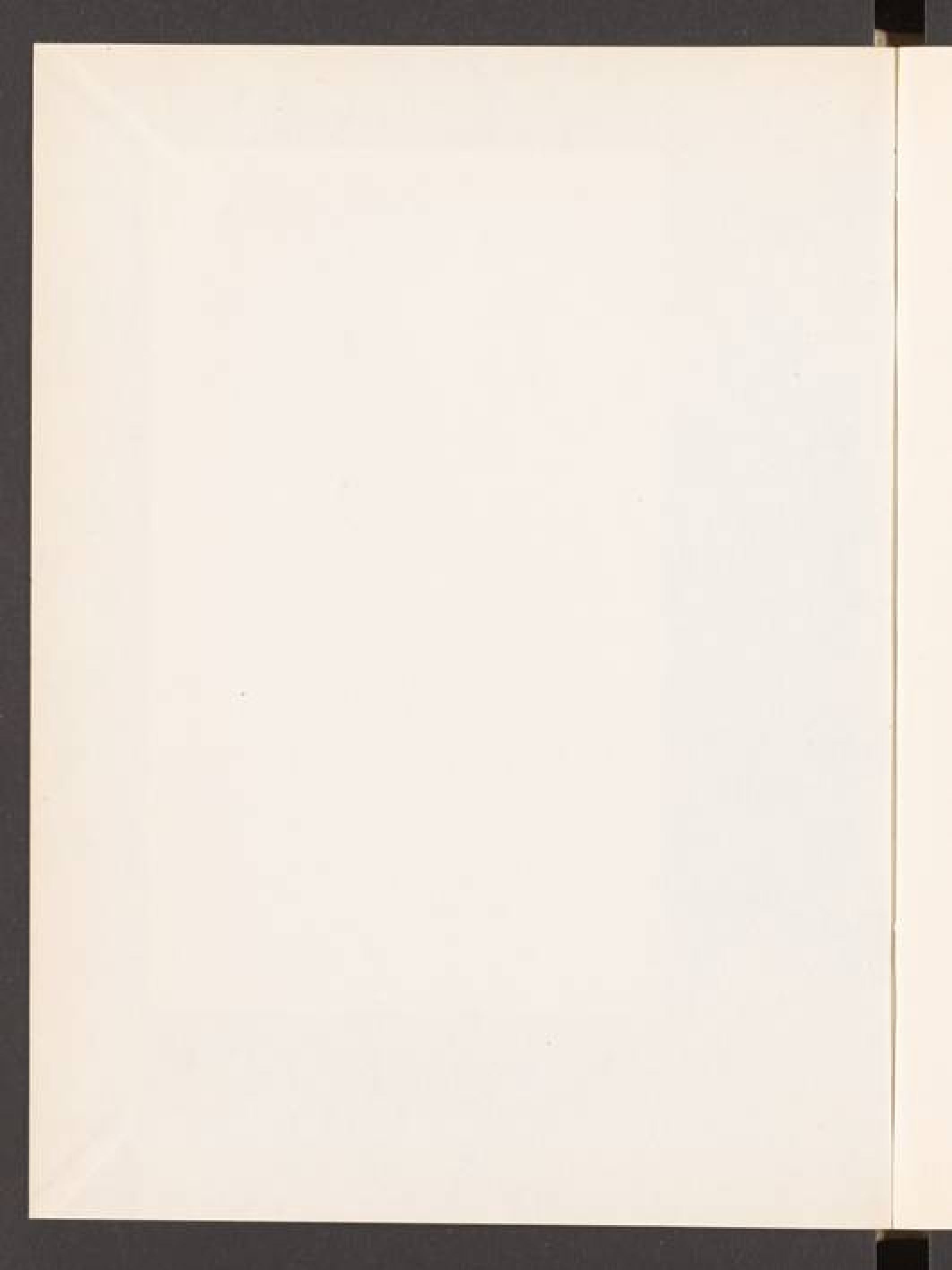
المجتمع الشامي المحلي

الباب الثالث

النهوض بالمجتمع المحلي

الباب الرابع

التصميم أو (التخطيط) للنهوض بالمجتمع المحلي







مطبعة الوزارة